اللغة والأسلوب والخيال
في شعر أبي ذؤيب الهذلي

للدكتور عبد الصبور ضيف محمد

الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية بأسيوط

أولا : اللغة :

كل من ينظر الى ديوان أبى ذؤيب يلحظ تلك الغرابة التى تميز ألفاظه ، فهو لا يستخدم اللفظ المتداول السهل ، وانما يعمد الى ما صعب من الألفاظ وما ندر فى استعماله ، وهذا يجعل قارىء شعره يقصر عن فهم ما يقصده الا بعد استشارة المعاجم اللغوية .

وتلك الخاصية جعلت أصحاب اللغة يستمدون من شعره شواهدهم على الغريب ، فلسان العرب حافل بأبيات لأبى ذؤيب . وكتب اللغة كالكامل للمبرد ، والآمالى للقالى ، والمخصص لابن سيده ، والصاحبى لابن فارس وغيرها .. كل هذه الكتب وجدت فى شعر أبى ذؤيب كنزا استخدمته لتفسير بعض الكلمات الغامضة النادرة الاستعمال .

فالمبرد فى الكامل يستعين بشعر أبى ذؤيب كثيرا فى تفسيره للألفاظ الغامضة ، فيورد على سبيل المثال قول أبى ذؤيب :

مرته النعامى فلم يعترف خلاف النعامى من الشأم ريحا

ليفسر به كلمة النعامى ، وهى ريح الجنوب ، ويفسر كلمة الأصل جميع أصيل يقول أبو ذؤيب :

لعمرى لأنت البيت أكرم أهله وأقعد فى أفيائه بالأصائل

ويعلن قائلا : « الأصيل العشى يقال أصيل وأصل مثل قضيب وقضب وجمع أصل آصال وهو جمع الجمع ويقال فى جمع أصيلة أصائل»(١) .

والقالى لا يقل عن المبرد اهتماما بشعر أبى ذؤيب ، فيفسر على سبيل المثال كلمة الذفاف بأنها البلل ويستشهد على ذلك بقول شاعرنا :

يقولون لما جئت البئر أوردوا وليس بها أدنى ذفاف لوارد(٢)

وفسر كلمة باسل بأن معناها الكريهة المنظر ، واستشهد على ذلك بيت أبى ذؤيب :

فكنت ذنوب البئر لما تبسلت وسربلت أكفانى ووسدت ساعدى(٣)

وفسر كلمة سائخ بمعنى ثائخ وقال « وواطئها سائخ أى تسوخ رجلاه فى الأرض من لينها » واستشهد على ذلك بقول أبى ذؤيب :

قصر الصيوخ لها فشرج لحمها بالنى فهى تثوخ فيها الاصبع(٤)

وفسر كلمة الضوع بالحركة واستشهد على ذلك ببيت لأبى ذؤيب يقول :

فريخان ينضاعان فى الفجر كلما أحسا دوى الريح أو صوت ناعب(٥)

وفسر كلمة الافزاز بالافزاع واستشهد على ذلك بقول أبى ذؤيب :

---

(١) الكامل ، ٣ : ٧٨٩ .

(٢) الآمالى ١ : ١٠٣ : الذنوب : الدلو .

(٣) السابق ٢ : ١٨٢ .

(٤) السابق ٢ : ٣٢٠ .

(٥) السابق ٢ : ٣٢٠ .

والدهـــر لا يبقى على حدثانه شبب أفزته الكلاب مسروع(٦)

واستشهد ابن سيده فى البيت السابق حين فسر كلمة الشبب بأنه الطلا التى نصت أسنانها أو المسن منها(٧) .

وأورد أبو زيد الأنصارى قول أبى ذؤيب فى الظبية :

وسود ماء المرد فاها فلونه كلون النؤور فهى أدماء سارها

وفسر كلماته بقوله « المرد المدرك من ثمـــر الآراك والنؤور هذا الكحل الذى يحشى به الجلد المقرح بالابرة أو بحديدة حتى تبقى علامته كما يفعل الشطار اليوم وقوله سارها يريد سائرها . وفى القرآن شفا جرف هار ينفسر هائر » .

والكلمة وردت فى قوله تعـــالى (أفمن أســـس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيـــانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين)(٨) .

وأورد القرشى قول أبى ذؤيب فى الفارسين :

وعليهما مسرورتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع

فقال قضاهما أى أحكمهما ، وأستشهد على ذلك بقوله تعـــالى : (واذا قضى أمرا) أى أحكمه(٩) وفسر لم يرج بلم يخف واستشـــهد بقوله تعالى (ما لكم لا ترجون لله وقارا) أى لا تخافون(١٠) وأورد قول أبى ذؤيب :

---

(٦) المخصص ، ٨ : ٣٣
(٧) النوادر فى اللغة ص ٢٦
(٨) سورة التوبة آية رقم ١٠٨
(٩) سورة التوبة الآية رقم ١٠٨
(١٠) (١١) جمهرة اشعار العرب ١ : ٢٠

اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وحالفها فى بيت نواب عواسل

وفسر مريج بمختلط واستشهد على ذلك بقول أبى ذؤيب :

فراغت فالتمست به حشاها فخر كأنه خوط مريج(١١)

كما أن اللفظ الوارد فى القرآن الكريم بالمعنى ذاته اذ قال تعالى (فهم فى أمر مريج) أى مختلط وابن دريد يستعين بشعر أبى ذؤيب لتفسير الكثير من الكلمات منها على سبيل المثال وابن دريد يستعين بشعر أبى ذؤيب لتفسير الكثير من الكلمات منها على سبيل المثال كلمة الزبر . يقول : « زبرت الكتاب أزبره زبرا » وكذلك ذبرته ذبرا لغة يمانية وقال قوم زبرته كتبته وذبرته قرأته والأولى الأعلى ، قال أبو ذؤيب :

عرفت الديار كرقم الدوا ويزبرها الكاتب الحميرى

أى يكتبها(١٢) .

والأصمعى يستشهد أيضا بشعر أبى ذؤيب من ذلك تفسيره لكلمة الانقياص ، فيقول : « والانقياص أن تنشق الركبة طولا أو السن ويورد هذا البيت لأبى ذؤيب » :

فراق كقيص السن فالصبر أنه لكل أناس عثرة وجبور(١٣)

والسجستانى يستشهد كثيرا بأشعار أبى ذؤيب ، من ذلك تفسيره لكلمة الجون وهى من الأضداد ، وتطلق على الأسود والأبيض ، وقد أورد قول أبى ذؤيب :

والدهر لا يبقى على حدثانه جون السراة له جدائد أربع

---

(١٢) نفسه نفس الصفحة ، الخوط : الغصن

(١٣) ابن دريد ، الاشتقاق ٤٨

وقال : « يعنى حمارا وحشيا أسود الظهر والجدائد الواحدة جدود وهى الأتن لا ألبان لها »(١٤) .

وابن السكيت يورد شعرا لأبى ذؤيب ويفسر ما فيه من الألفاظ الغامضة ويختار من شعر أبى ذؤيب قوله :

ومدعس فيه الأنيض خفيته بجرداء ينتاب الثميل حمارها

ويفسره قائلا : « قوله مدعس أى مختبز ومطبخ الذى أعيد فيه مرة بعد مرة والأنيض اللحم الذى لم ينضج وخفيته استخرجته من العجلة لم أدعه ينضج ويروى اختفيته ويقال للركبة قد دفنت ثم استخرجت خفية »(١٤) .

ويستشهد ابن السكيت بشعر أبى ذؤيب كثيرا من ذلك على سبيل المثال تفسيره كلمة القفل بأنها ما يسمى من الشجر ببيت لأبى ذؤيب :

ومفرهة عنس قدرت لساقها فخرت كما تتابع الريح بالقفل(١٥)

وفسر كلمة الوكف بأنها تطلق أحيانا على النطع واستشهد على ذلك بقول أبى ذؤيب :

ومدعس فيه الأنيض اختفيته بجرداء مثل الوكف يكبو غرابها

---

(١٤) الأصمعى الأضداد ٤١ .

(١٤) ابن السكيت ، الاضداد ١٧٧

(١٥) ابن السكيت ، اصلاح المنطق ص ٥١ شرح أشعار الهذليين ١ : ٩٢ لرجلها بدلا من لساقها ، المفرهة : الناقة ، العنس : الصلبة الشديدة ، قدرت : هيأت ، القافل : كل يابس ، تتابع : التتابع ـ التمادى والمضى على الأسد .

وظاهر ان معنى الوكف هنا النطع(١٦) .

والعسكرى يورد شعر أبى ذؤيب كثيرا لاظهار التصحيف والتحريف الذى قد يصيب الشعر أما من عدم معرفة الراوى بأسماء الأماكن أو لعدم تمييزه بين المعانى فيقول : « أخبرنا محمد بن يحيى ، أخبرنا المبرد حدثنى التوزى ، قال قرأت على أبى عبيدة :

فتخالسا نفسيهما بنوافذ كنوافذ العبط التى لا ترقع

فقال من أقرأك هذا ؟ قلت الأصمعى ، قال صحف العبد ، أو العلج انما هو الغبط ، فرواية الأصمعى بعين غير معجمه ورواية عبيدة بغين معجمه ، وفسره الأصمعى فقال العبط اللواتى اعتبطن ومنه ناقة عبيط قال وقوله لا ترقع أى ليس فيها رقع وانما يعنى الشباب »(١٧) .

والمرتضى فى أماليه يورد شعرا لأبى ذؤيب يستعين به فى شرح ما غمض من معان احتواها كتابه فيورد مثلا قول أبى ذؤيب :

مطافيل أبكار حديث نتائجها يشاب بماء مثل ماء الخاصل

فيقول « يقال للماء الذى يجرى على الصخر ماء الحشرج وللماء الذى يجرى بين الحصى والرمل ماء الخاصل »(١٨) .

وهو أيضا يورد أشعارا لأبى ذؤيب ظهر فيها الحذف من ذلك قوله :

عصيت اليها القلب انى لأمرها مطيع فما أدرى أرشد طلابها

---

(١٦) اصلاح المنطق ٦٣ رواية البيت فى شرح أشعار الهذليين ١ : ٥٣
تدلى عليها بين سب وخيطه بجراد مثل الوكف يكبو غرابها
الكبو : العثار .

(١٧) العسكرى ، مايقع فيه التصحيف ص ١٠٥ راجع ايضا الصفحات الآتية من الكتاب المذكور : ٦٥ ، ٩٩ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٥٦

(١٨) أمالى المرتضى ١ : ٢٥٩ .

فيقول « أراد أرشد أم غى فاكتفى بذكر الرشد لوضوح الأمر » وايراده لبيت أبى ذؤيب هذا يأتى فى معرض حديثه عن الحذف وعمد العرب الى الحذف اذ بان المراد(١٩) • وقد استشهد له فى أبيات أخرى(٢٠) •

وابن جنى يتناول شعر أبى ذؤيب تناولا نقديا ، فيفصل مثلا قوله فى الحديث :

وان حديثا منك ــ لو تعلمينه جنى النحل فى ألبان عوذ مطافل

على الأبيات المشهورة المنسوبة الى يزيد بن الطثرية والتى يقول فيها :

ولما قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطى الأباطح(٢١)

وهو حين يتناول الحركات وأشباعها أو ما يسميه بمطل الحركات وهو انشاء الفتحة بعد الألف والياء والكسرة والواو بعد الضمة يقول : « ومن مطل الفتحة قول أبى ذؤيب » :

بينا تعنقه الكماة دروعه يوما أتيح له جرىء سلفع(٢٢)

---

(١٩) السابق ١ : ٢١٧ • فى شرح أشعار الهذليين ٢ : ٦١٦ وفى الديوان عصانى بدلا من عصيت •
(٢٠) أمالى المرتضى ١ : ٢٩٣ •
(٢١) ابن جنى ، الخصائص ١ : ٢١٨ ــ ٢١٩ •
(٢٢) السابق ٢ : ٢١١ راجع ايضا الصفحات الآتية ١ : ٣٤٨ ، ٢ : ٨٠ ، ٨٥ ، ٣١٤ ، ٣٦٩ ، ٣٧٦ ، ٤١٣ ، ٣ : ١١٢ ــ ١٢٣ ــ ٣٠٤

ثم يقول : « أى بين أوقات تعنقــه ثم أشبع الفتحة فأنشأ عنها الألف » •

واذا تركنا ما استوقف اللغويين من ألفــاظ غريبة وجدنا ديوانه حافلا بأمثالها وسنحاول ايراد الألفاظ الغريبة وضمنها مثلا ما اشــتمل عليه هذا البيت من كلمات :

لهن نشيج بالنشيل كأنهــا ضرائر حرمى تفاحش غارها(٢٣)

وكما رأينا ، فالغريب يتزاحم فى هذا البيت ، فهناك نشيج بمعنى غليان ، وهناك نشيل بمعنى اللحم • وهناك تفاحش غارها ، أى غارت غيرة فاحشة ، وغار صيغة غريبة من الغيرة ربما أملتهــا القافية ، وربما استخدمها لولعه بالغريب • ومثلها كلمة الظؤار فى قوله :

اذا استعجلت بعد الخبو ترازمت كهزم الظؤار جرعنها حوارها(٢٤)

والظؤار جمع ظئر ، وهى من الابل العاطفة على غير ولدها المرضعة له ، وكذلك من غير الابل ، وجمع ظئر ظؤار من الجموع النــادرة ، ولا ندرى أألزمته القافية مرة أخرى فى استخدام هذا الجمع أم هــو ميله للغــريب •

واستخدم كلمة مطارب بمعنى طوق وزقب بمعنى ضيقه فى بيت واحد وهما كلمتان غير متداولتين اذ قال :

ومتلف مثــل فرق الرأس تخلجه مطارب زقب أميالها فيح(٢٥)

ومثل ذلك استعماله لكلمة نطيح التى حيرت شارح شعره فتــارة يفسرها بخائب وتارة يفسرها بثقيل يقول :

---

(٢٣) شرح أشعار الهذليين ١ : ٧٩
(٢٤) السابق ١ : ٧٩ •
(٢٥) السابق ١ : ١٢٥ •

فأمكنه ممـــا أراد وبعضهم شقى لدى خيراتهن نطيح(٢٦)

والغيم الذى وصفه فى شـــعره لا يسميه غيما ، انما يطلق عليـــه لفظ صراد حينا وطخاف حينا آخر ، فيقول :

وصراد غيم لايزال كأنه ملاء بأشراف الجبال مكور(٢٧)

ويقـــول :

طخاف يبارى الريح لا ماء تحته له سنن يغشى البلاد طحور(٢٨)

وقد فسر السكرى الكلمتين « ظخـــاف وصراد » بأنهما تعنيـــان مملوءات اذ قال :

له من كسبهن معذلجـــات قعائد قد ملئن من الوشيق(٢٩)

ويطول بنا المقام لو وقفنا عند كل لفظ غريب وكلمة نادرة فى ديوان أبى ذؤيب لأن الطابع العام لشعره هو كثرة الغريب •

ومما يقارب الغـــرابة أو ندرة الاستعمال انفراد قبيلة الشـــاعر بألفاظ معينة لها دلالات معينة عند القبيلـــة ، وقد وردت تلك الألفاظ فى شعر أبى ذؤيب منها كلمة طـــرف بمعنى كريم وهذيل تنفـــرد بهذا المعنى وربما كان أصلها من الفرس الكريم ، وقد ورد اللفظ فى شـــعر أبى ذؤيب فى هذا المعنى •

يقولوا قد رأينا خير طـــرف بزقية لا يهد ولا يخيب(٣٠)

وكلمة المطى يعنى الرجال فى لغة هذيل ، وأحـــهم مطو ، وقـــد استعمل أبو ذؤيب الكلمة فى هذا المعنى حين قال :

---

(٢٦)السابق ١ : ١٥٢ •

(٢٧)،(٢٨) السابق ١ : ٦٨

(٢٩) السابق ١ : ١٨٢ القعائد : الغرائد : اللحـــم يطبخ فييبس فيصير فى هذه الغرائد •

(٣٠) السابق ١ : ١٠٧ •

لقد لاقى المطى بنجد عفر حديث ــ ان عجبت له ــ عجيب(٣١)

والضخضاح تعنى القليل ، يقال ماء ضخضاح أى ماء رقيق قليل، وفى لغة هذيل تعنى العكس فماء ضخضاح تعنى ماء كثير •

وقد ورد اللفظ فى شعر أبى ذؤيب بمعناه عند هذيل ، اذ قال :

يجش رعدا كهدر الفحل تتبعــه أدم تعطف حول الفحل ضخضاح(٣٢)

وواضح أن ضخضاح تعنى الكثير •

وهذيل تطلق على الحبل لفظ السب ، وتطلق على الوتد لفظ الخيطة، وقد استخدم أبو ذؤيب هذين اللفظين فى بيت واحد حين قال :

تدلى عليهــا بين سب وخيطة بجرداء مثل الوكف يكبو غرابها(٣٣)

وولد الظبية يسمى خشفا فى سائر لغات العرب أما هذيل فتسميه الجحش وقد وردت الكلمة فى شعر أبى ذؤيب فى ذلك المعنى على رواية الأصمعى :

بأسفل ذات الدبر أفرد جحشها فقد ولهت يومين فهى ولوح(٣٤)

وذكر صاحب اللسان نقــلا عن ابن سيده أن هذيلا تقول سميج تعنى سمج والسمج الذى لا ملاحة فيه ، وقد ورد اللفظ فى قــول أبى ذؤيب :

فان تعرضى عنى وان تتبدلى خليلا ومنهم صالح وسميج(٣٥)

---

(٣١) السابق ١ : ١٠٤ •
(٣٢) السابق ١ : ١٦٧ •
(٣٣) السابق ١ : ٥٣
(٣٤) السابق ١ : ١٣٦ •
(٣٥) السابق ١ : ١٣٧

وذكر السكرى أن الرزن قد جعل أبا ذؤيب يستخدم كلمة (سميج) بدلا من (سمج) ولم يشر الى لغة هذيل .

وهذيل تستعمل كلمة متى بمعنى من ، قال أبو ذؤيب :

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى حبشيات لهن نئيج(٣٦)

وهى تجمع طريق على أطرق وقد ورد ذلك فى شعر أبى ذؤيب اذ قال :

على أطراقا باليات الخيا م الا الثمام والا العصى(٣٧)

والهذليون يقولون : « نجد » بدلا من « نجد » وقد ورد الاستعمال فى قول أبى ذؤيب :

فى عانة بجنوب السى مشربها غور وسدرها عن مائها نجد(٣٨)

والمشايحة تعنى المحاورة ولكنها عند هذيل تعنى الجد فحين يقولون فلان مشايح يعنون أنه مجد ، وقد ورد اللفظ فى شعر أبى ذؤيب فى معناه عند هذيل اذ قال :

بدرت الى أولاهم فسبقتهم وشايحت قبل اليوم أنك شيح(٣٩)

ولو تساءلنا ما العوامل التى جعلت من شعر أبى ذؤيب مستودعا للألفاظ البدوية والغريبة . أكان لطبيعة موضوعاته دخل فى ذلك ؟ ألأنه عاش فى البادية ومن الطبيعى أن يكون له معجمه اللغوى الخاص .

---

(٣٦) السابق ١ : ١٢٩ .

(٣٧) السابق ١ : ١٠٠ ، الثمام : شجر يجعل فوق الخيم ، العصى : خشب البيوت .

(٣٨) السابق ١ : ٥٦ .

(٣٩) السابق ١ : ١٥٠ بدرت : سبقت ، وأنك شيح : انك مجد .

ربما عاد السبب الى هذين العاملين معا ، فشغفه بوصف مظاهر الحياة فى الصحراء كان يفرض عليه استخدام الغريب ، واستعراض ذخيرته اللغوية فى معرفة الاسماء والألفاظ المتداولة لمظاهر الطبيعة المختلفة • وذلك اضافة الى عزلة هذيل فى مساكنها الوعرة بين الجبال وعدم احترافها التجارة كغيرها من القبائل التى سهلت لغاتها لاختلاطها •

ومن يقرأ ديوان أبى ذؤيب يلحظ شغف الشاعر بالاشتقاق فهو يأتى بلفظين أحدهما مشتق من الآخر • من ذلك قوله :

فشرجها من نطفه وجبيه سلاسلة من ماء لصب سلاسل(٤٠)

فسلاسلة وسلاسل لفظهما واحد ومعناهما واحد كذلك هادية وهاد فى قوله :

فنكرنه فنفرن وامترست به عوجاء هادية وهاد جرشع(٤١)

كذلك جمعه بين جش وأجش :

وتميمة من قانص متلبب فى كفه جش أجش وأقطع(٤٢)

كذلك فقد جمع بين أسندونى وساند :

وقالوا تركناه تزلزل نفسه وقد اسندونى أو كذا غير ساند(٤٣)

وجمع بين مسود وسائد :

ومثل السدوسيين سادا وذبذبا رجال الحجاز من مسود وسائد(٤٤)

---

(٤٠) شرح أشعار الهذليين ١ : ١٤٥ •
(٤١) نفسه ١ : ٢٢ •
(٤٢) نفسه ١ : ٢١ •
(٤٣) نفسه ١ : ١٩١ •
(٤٤) نفسه ١ : ١٨٩ •

وجمع بين لج ولجوج :

فانى صبرت النفس بعـد ابن عنبس
وقد لج من ماء الشئوون لجوج(٤٥)

وهذا الاشتقاق ضرب من الجناس كان له رنة معجبة لديه ولدى غيره من شعراء الجاهلية فاستخدموه ولكن فى اعتدال لا اسراف فيـه ولا تكلف كمـا فعل أصـحاب البديع من بعـد ، وهو يسـتخدم هذا الجناس كثيرا فى قوافيه .

ففى العينية مثلا جانس بين تدفع وتنفع وتدمع(٤٦) .

وفى قصيدة أخرى جانس بين ربابها وقبابها وكرابها(٤٧) والجناس الناقص سمة ظاهرة فى ديوان أبى ذؤيب(٤٨) .

وأما الطباق فهو أقل ورودا فى شعره من الجناس ، ومن أمثلتـه قـوله :

فان وصلت حبل الصفاء فـدم لها
وان صرمته فانصرف عن تجامل(٤٩)

فقد طابق بين وصلت وصرمت ودم وانصرف ، وطابق بين الحلم والجهل فى هذا البيت :

---

(٤٥) نفسه ١ : ١٣٧ .
(٤٦) نفسه ١ : ٨ ـ ٩
(٤٧) نفسه ١ : ٤٧ ـ ٤٩ .
(٤٨) راجع شرح أشعار الهذليين ، ١ : ٥٦ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٩٥ ، ١٣٠ ، ١٥٠
(٤٩) شرح اشعار الهذليين ١ : ١٤٢ .

فان تزعمينى كنت أجهل فيكم فانى شريت الحلم بعدك بالجهل(٥٠)

وطابق بين الليل والنهار وطلوع الشمس وغيارها فقال :

هل الدهر الا ليلة ونهارهـا والا طلوع الشمس ثم غيارها(٥١)

وطابق بين السنام وعراء وهى الناقة التى لا سنام لها فقال :

وكانوا السنام اجتب أمس فقومهم كعراء بعد التى راث ربيعها(٥٢)

وطابق بين الصيف والشتاء فى هذا البيت فقال :

أهم بنيه صيفهم وشتاؤهم فقالوا تعد واغز وسط الأرجل(٥٣)

كذلك قال :

فدع عنك هذا ولا تبتهج لخير ولا تبتئس عند ضر(٥٤)

فطـابق بين تغتبط وتبتئس وخـير وضر • وطابق بين عشـرة وجبور فى هذا البيت :

فراق كقيص السن فالصبر انه لكل أناس عثرة وجبور(٥٥)

وكما رأينا فالطباق يأتى فى شعره تلقائيا لا تكلف فيه ولا اسراف •

وأبو ذؤيب شغوف بالتكرار فى البيت الواحد • ومن أمثلة ذلك تكراره غبنت وغبنت وشكلهم وشكلى فى بيت واحد :

---

(٥٠) السابق ١ : ٩٠ •

(٥١) نفسه ١ : ٧٠ •

(٥٢) نفسه ١ : ٢٢٥ •

(٥٣) نفسه ١ : ١٦١ •

(٥٤) نفسه ١ : ١١٧ •

(٥٥) نفسه ١ : ٦٦ •

وقال صحابى قد غبنت فخلتنى غبنت فما أدرى أشكلهم شكلى(٥٦)

وكرر ضعف مرتين اذ قال :

جزيتك ضعف الود لما اشتكيته وما ان جزاك الضعف من أحد قبلى(٥٧)

ومثل هذا التكرار كثير فى شعره ، وما أوردناه أمثلة وليس حصرا(٥٨) والتكرار من الأساليب التى يعمد اليها الشاعر لتقوية المعنى وتأكيده .

وأما الألفاظ المعربة فديوانه يكاد يكون خاليا منها عدا استعماله للفظة (بالة) وهى وعاء المسك بالفارسية وقد استخدم اللفظ مرتين اذ قال :

كأن عليها بالة لطمية لها من خلال الدأيتين أريج(٥٩)

وقال أيضا :

وأقسم ما أن بالة لطمية يفوح بباب الفارسين بابها (٦٠)

ويعزى قلة المعرب والدخيل فى لغة أبى ذؤيب قلة اختلاطه بأهل القرى ممن يكثر فى لغتهم مثل تلك الألفاظ لكثرة ما يوجد بين أهلها من الغرباء وأهل الملل من يهود ونصارى وعبيد واماء . لانتقالهم بالتجارة الى بيئات أخرى غير عربية أو تختلط لغات أهلها العرب بلغات غيرهم كالشام واليمن والحيرة ... وغيرها .

---

(٥٦) نفسه ١ : ٩١ .

(٥٧) نفسه ١ : ٨٨ .

(٥٨) راجع الصفحات الاتية من شرح أشعار الهذليين ٣ ، ٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٦٤ ، ٧٢ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٦ ـ ١٠٩ ـ ١٢٣ ١٢٦ ٢٢٧

(٥٩) السابق ١ : ١٣٦ .

(٦٠) السابق ١ : ٤٤ .

ولو سألنا هل كان أبو ذؤيب موفقا فى اختيار ألفاظه وجعلها تدل بجرسها وبمعناها على ما يعبر عنه من أصوات وألوان أو نزعات نفسية ؟

من عرضنا لشعره نجد أنه قد وفق كثيرا وقد جانبه التوفيق فى مرات قليلة ، فمن الألفاظ التى وفق فى اختياره لها ألفاظ بعض قوافيه ، اذ جعلها تدل على ما أراد التعبير عنه من أصوات وحركات ، وعلى سبيل المثال كان موفقا فى اختياره لكلمتى نئيج وثجيج فى قوله :

سقى أم عمرو كل آخر ليلة
حنـاتم سود ماؤهن ثجيج

تروت بماء البحر ثم تنصبت
على حبشيات لهن نئيج(٦١)

الا ترى معى أن ثجيج كانتا تصوران كثرة سيلان الأمطار وصوتهما يتناسب مع الأصوات المنبثقة من تساقط الأمطار الغزيرة ، كذلك كلمة عجيج فى هذا البيت الذى يقول فيه :

لكل مسيلى من تهامة بعد ما تقطع أقران السحاب عجيج(٦٢)

فكلمة عجيج عبرت عن الصوت الذى أراد أبو ذؤيب أن يصفه وهو صوت الماء • وكلمة تصيح عبرت عن الوحشة والخوف والفزع الذى أراده الشاعر فى هذا البيت :

فان تمس فى رمس برهوة ثاويا أنيسك أصداء القبور تصيح(٦٣)

---

(٦١) السابق ١ : ١٢٨ ـ ١٢٩ •
(٦٢) السابق ١ : ١٣٢ •
(٦٣) السابق ١ : ١٥٠ •

وكلمة وهيج عبرت عن اللمعان والاشراق :

كأن ابنة السهمى ذرة قامس لها بعد تقطيع النبوح وهيج(٦٤)

فحبيبة الشاعر كانت كتلك الدرة فى لمعانها واشراقها :

وعبر عن تلوى الغائص فى الماء وهو يبحث عن الدرة بهذه الكلمة :

أجاز اليهـا لجة بعد لجة أزل كغرنيق الضحول عموج(٦٥)

فكلمة عموج توحى بالتلوى ومسارعة الموج الذى أراد أن يعبـر عنه الشاعر • وعبر عن الغليان بهذه العبارة الموحية بالصوت المنبعث من الفعـل •

لهن نشيج بالنشيل كأنهـا ضرائر حرمى تفاحش غارها(٦٦)

ومن الفاظ التى جانبه التـوفيق فى اختيارها لأنها لا تتناسب والغرض الذى كان بصدده قوله :

وسرب تظلى بالعبير كأنه دماء ظباء بالنحور ذبيح(٦٧)

فاستخدامه هنا لكلمـة ذبيح فى معرض حديثه عن الحسان كان استخداما خاطئا لأنه لم يعبر عن الموقف الذى كان الشاعر بصـدده وهو وصف الحسان • نعم هناك علاقة باللون بين الذبيح وبين النسـاء المضمخات بالعبير ، لكن استخدام كلمة ذبيح نقل القارىء من جو الفرح

---

(٦٤) السابق ١ : ١٣٣ •

(٦٥) السابق ١ : ١٣٤ •

(٦٦) السابق ١ : ٧٩ •

(٦٧) السابق ١ : ١٥١ •

والسرور الى جو الدماء والخوف والموت • أين ذلك من قول امرىء القيس :

اذا التفتت نحوى تضوع ريحهـا
نسـيم الصـبا جاءت بريا القرنفـل
وتضحى فتيت المسك فوق فراشها
نؤم الضحى لم تنتطق عن تفضل(٦٨)

فهو يشبه رائحة حبيبته بالقرنفل والمسك •

كذلك كلمة بعيج التى أراد أن يعبر بها عن النعمة التى كان يلقاها فى ظل المرثى فجانبه التوفيق فى الملائمة بين اللفظ والمعنى اذ قال :

وذلك أغلى منك فقد أرزئته كريم وبطنى بالكرام بعيج(٦٩)

وكلمة هيج التى أراد بها الضعف والحياء والخجل •• جرسـها لا يوحى بما أراده الشاعر من وصف لحبيبته اذ قال :

كأن ابنة السهمى يوم لقيتها موشحة بالطرتين هميج(٧٠)

كذلك كلمة جرب التى استخدمها فى موضع المديح اذ قال :

وصرخ الموت عن غلب كأنهم جرب يدافعها الساقى منازيح(٧١)

فقد شبه الابطال بالابل الجربة ليدلل على خـوف الناس منهم وابتعادهم عنهم •

---

(٦٨) ديوان امرىء القيس ١٥ ـ ١٧ •
(٦٩) شرح أشعار الهذليين ١ : ١٣٨ •
(٧٠) السابق ١ : ١٣٦ •
(٧١) السابق ١ : ١٢٤ الغلب : الغلاظ الاعنـاق ، المنازيح : التى عهدها بالماء قديم فلا يقدر الساقى أن يدفعها عن الماء •

ثانيا : اسلوبه :

أما اسلوب أبى ذؤيب فأهم ما يميزه استخدام الاستفهام فى بعض افتتاحياته كالعينية مثلا التى بدأها بهذا الاستفهام :

أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع(٧٢)

وافتتح قصيدة أخرى بهذا الاستفهام :

أمن أم سفيان طيف سرى الى فهيج قلبا قريحـا(٧٣)

وافتتح قصيدة ثالثة بهذا الاستفهام :

أمن آل ليلى بالضجوع وأهلنا بنعف اللوى أو بالصفية عير(٧٤)

وافتتح قصيدة رابعة بالقول :

ألا هل أتى أم الحويرث مرسل نعم خالد ان لم تعقه العوائق(٧٥)

بدأها بألا أداة الاستهلال اتبعها الاستفهام :

وافتتح قصيدة خامسة بهذا الاستفهام والاستهلال :

ألا ليت شعرى هل تنظر خالد عيادى على الهجران أم هو يائس(٧٦)

وافتتح قصيدة سادسة بهذا السؤال :

ما بال عينى لا تجف دموعها كثيرا تشكيها قليلا هجوعها(٧٧)

---

(٧٢) السابق ١ : ٤ .
(٧٣) السابق ١ : ١٩٦ .
(٧٤) السابق ١ : ٦٥ .
(٧٥) السابق ٢ : ١٥٦ .
(٧٦) نفسه ١ : ٢١٧ .
(٧٧) نفسه ١ : ٢٢٥ .

والاستفهام نهج معروف ومستحب فى الاستهلال عند شعراء العرب ، وفيه تنبيه للسامع واثارة لفضوله واستدعاء لسمعه .

وفى العينية ينتقل من الاستفهام الى الخبر والتقرير :

قالت أمبمة ما لجسمك شاحبا ... ... (البيت)

ثم يستمر فى عرض حاله فى اسلوب قصصى رائع ولو عرضنا قصائد أبى ذؤيب الأخرى لوجدنا أنه كثير الانتقال من اسلوب الى آخر ، فيما عرف عند البلاغيين بالالتفات ، فهو ينتقل من الغيبة الى الخطاب كما فى قصيدته التى مطلعها :

ألا زعمت أسماء أن لا أحبها فقلت بلى ، لولا ينازعنى شغلى

ثم يقول منتقلا من الغيبية الى الخطاب :

جزيتك ضعف الود لما اشتكيته ومانجزاك الضعف من أحد قبلى(٧٨)

ويتميز اسلوب أبى ذؤيب بالاستطراد فهو مثلا يصف محبوبته ويجعل الخمرة أو العسل أو هما معا وسيلته لتشبيه ثغرها بهما ، ثم يسترسل فى وصف المشبه به ويطيل حتى ينسى القارىء لشعره أنه بصدد وصف ثغر محبوبته ثم يعود مرة أخرى الى غرضه الأصلى وكأنه اكتفى بتفصيله فى وصف المشبه به عن الاطالة فى وصف المشبه وهذه الظاهرة تصادفنا كثيرا فى شعر أبى ذؤيب ومن نماذجها قوله :

عصانى اليها القلب انى لأمره
سميع فما أدرى أرشد طلابها
فقلت لقلبى : يا لك الخير انما
يدليك للموت الجديد حبابها

---

(٧٨) نفسه ١ : ٨٨ .

... ...

... ...

ولا الراح راح الشام جاءت سبيئة
لها غاية تهدى الكرام عقابهـا
عقار كماء التى ليست بخمطـة
ولا خلة يكوى الشروب شهابها

ويستمر فى وصف الخمرة وتأثرها ويستغرق ذلك سبعة عشر بيتا يقول بعد ذلك :

فمـا ان هما فى صـحفة بارقية
حديد حـديث نحتها واقتضابها
بأطيب من فيها اذا جئت طارقا
من الليل والتفت على ثيابها(٧٩)

ومما يميز اسلوب أبى ذؤيب أيضا اتباعه للاسلوب القصصى فهو يسوق الموضوع على صورة حوار وهذه الميزة ان كانت لا تطـرد فى كل قصائده الا انها ظاهرة فى بعضها ومن أمثلتها قوله :

قالت أميمـة ما لجسمك شـاحبا
منذ ابتذلت ومثل مالك ينفـع
أم ما لجنبـك لا يلائم مضـجعا
الا أقض عليـك ذاك المضـجع
فأجبتهـا ان مـا لجسـمى أنه
أودى بنى من البلاد ودعوا(٨٠)

---

(٧٩) نفسه ١ : ٤٣ ـ ٥٤ .
(٨٠) نفسه ١ : ٥ ـ ٦ .

وقال فى قصيدة أخرى :

تقول له كفيتك كل شىء
أهمك ما تخطتنى الحتوف

أتيح له من الفتيان خرق
أخو ثقة وخريق خشوف

... ...

... ...

فقال لـــه وقد أوحت اليه
ألا الله أمك مـــا تعيـــف

فقال لـــه أرى طيرا ثقالا
تخبر بالغنيمة أو تخيف

بواد لا أنيس به ييـــاب
وأسلة مدافعها خليف

... ...

... ...

فقال أما خشيت وللمنـــايا
مصارع ان تخرقك السيوف

وقال لقد خشـــيت وانبأننى
به العقبـــان لو أنى أعيـــف

فقال بعهـــده فى القوم انى
شفيت النفس لو يشفى اللهيف(٨١)

---

(٨١) نفسه ١ : ١٨٤ ـ ١٨٨ .

وكذلك قوله :

ديار التى قالت غداة لقيتها صبوت أبا ذئب وأنت كبير(٨٢)

والحوار أسلوب اتبعه بعض الشعراء وممن اشتهروا به امرؤ القيس اذ يسوق فىمعلقته حوارا بينه وبين عنيزة فيقول :

تقول وقد مال الغبيط بنا معا
عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل
فقلت لها سيرى وأرخى زمامه
ولا تبعدينى من جناك المعلل(٨٣)

وقال فى قصيدة أخرى :

فقالت سباك الله انك فاضحى
ألست ترى السمار والناس أحوالى
فقلت يمين الله أبرح قاعدا
ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى(٨٤)

وأسلوب الحوار يضفى على الشعر حيوية لأنه ينقل قارىء الشعر الى الجو الذى قيلت فيه القصيدة فكأنه يسترق السمع الى ما دار فى ذلك الجو بين الشاعر ومخاطبه .

كذلك فان اسلوب أبى ذؤيب يتميز بدقة التفصيل فهو لا يترك الصورة الا بعد أن يستوفى جميع جوانبها ويسجل فى صورة أدق ملاحظاته فهو حين يصف الطريق مثلا لا ينسى أن يذكر ما به من آثار نعال من سار عليه ، اذ يقول :

---

(٨٢) نفسه ١ : ٦٥
(٨٣) ديوان امرىء القيس ١٢ .
(٨٤) السابق ٣١ .

به من نعـال القـافلين طـرائق
مقـابلة أقدمهـا وسريـح (٨٥)
عفا بعد عهد الحى منهم وقد يرى
به دعص آثار ومبرك جامل(٨٦)

وحين يصـف الفرس لا ينسى حتى العـرق الذى بـرز بسبب اكتنازها اذ يقول :

مثغثق انساؤها عن قانىء كالقرط صاو غيره لا يرضع(٨٧)

وهـو يكثر من استخدام حـروف العطف وأكثر الحـروف التى يستخدمها هى الفاء والواو وثم ، ومن أمثلة استخدامه للفاء قوله :

فغـدا يشرق متنـه فبدا له
أولى سوابقها قريبا توزع
فانصاع من فزع وسد فروجه
غبر ضوار وافيان واجـذع
فنحا لهـا بمذلقين كأنمـا
بهما من النضح المجرح أيدع
فدنا له رب الكـلاب بكفه
بيض رهاب ريشهن مقـزع
فرمى لينفذ فرها فهوى له
سهم فأنفذ طرتيه المنـزع
فكبا كما يكبو فنيق تاز
بالخبت الا أنه هو أبرع(٨٨)

---

(٨٥) شرح أشعار الهذليين ١ : ١٥٣ .
(٨٦) السابق ١ : ١٤٠ .
(٨٧) نفسه ١ : ٣٥ .
(٨٨) نفسه ١ : ٢٧ .

وتتابع الفاءات ها هنا كحروف عطف تجمع الافعال وتتابع بينهـا وتكسبها سرعة وتقاربا لأن العطف بالفاء يفيد التعاقب القريب •

وقد تنبه أحد النقـاد الى ذلك وأشار الى استخدام أبى ذؤيب لحرف الفاء وذكر أن ذلك « قد سـاعده على أن يحكم عقد قصـيدته ويطرد نسقها تناسبا وتماشيا مع ما تحمل من المعنى وأن قريحة الشاعر هى التى مكنته من اجادة استخدام ذلك الحـرف »(٨٩) ومثـل لهذا الاستخدام بهذه الأبيات :

فوردن والعيـوق مقعد رابىء الـ
ضرباء فـوق النجم لا يتتلـع
فشرعن فى حجـرات عذب بارد
حصب البطاح تغيب فيه الأكرع
فشربن ثم سـمعن حسـدونه
شرف لحجاب وريب قرع يقرع
وتميمة من قـانص متلـبب
فى كفه جشء اجش وأقطـع
فنكرنه فنفـرن وامترست به
عوجاء هـادية وهاد جرشع
فرمى فأنفـذ من نحوص عائط
سهما فخـر وريشه متمتـع
فبدا له أقـراب هذا رائغـا
عجلا فعيث فى الكنانة يرجـع
فرمى فألحق صاعديا مطحـرا
بالكشح فاشتملت عليه الأضلع

---

(٨٩) نورى القيسى وحدة الموضوع ص ١١٦ ـ ١١٧ شرح اشعار الهذليين ١ : ٢٠ ـ ٢٤ •

فأبدهن حتـــوفهن فهـــارب

بذمائه أو بارك متجعجـــع

وكما رأينا فان الفاء تفيد التعاقب فى الحدث أو الفعل وهو هنـــا يزيد باستخدام الفاءات المتعاقبة من وقع الحدث وتعاقبه فى حركـــة الحيوان والصائد .

واستخدم أبى ذؤيب الواو بصورة أقل من استخدامه للفاء وذلك لعطف متجاورات أو متصاحبات دون ارادة معنى التتابع .

ومن النماذج التى قرر بها الواو هذه الأبيات :

وزفت الشول من برد العشى كما

زف النعـــام الى حفـــائه الروح

وقال ماشـــيهم سيان سيركم

أو أن تقيموا به واغبرت لسوح

وكان مثلين أن لا يسرحوا نعما

حيث استرادت مواشيهم وتسريح

... ...

... ...

واعصوصبت بكرا من حرجف ولها

وسط الديار رذيات مرازيح(٩٠)

فالواو تفيـــد فى العطف ها هنا أكثر من معنى ، منهـــا المصاحبة والتمـــاثل .

واستخدم حرف العطف ثم ــ الذى يفيد التراخى أو التتابع البطىء بصورة أقل من استخدام الفاء . وفى مواضع تناسب هذا المعنى من ذلك هذه الأبيات :

---

(٩٠) شرح أشعار الهذليين ١ : ١٢١ ـ ١٢٣ .

ثم شربن بنيـــط والجمال كـــا
ن الرشح منهن بالآباء أمساح
ثم انتهى بصرى عنهم وقد بلغوا
بطن المخيم فقللوا الجو أو راحوا(٩١)

ومما يميز اسلوب أبى ذؤيب استخدامه للتصريع والتصريع كما يعرفه ابن الأثير « هو أن يكون كل مصراع فى البيت مستقلا بنفســه فى فهم معناه غير محتـــاج الى صاحبه الذى يليه » ومثـــل له بقـــول امرىء القيس :

أفاطم مهـــلا بعض هذا التدلل وان كنت قد أزمعت صرمى فأجملى

« أو أن يكون المصراع مســـتقلا بنفسه فاذا جاء الذى يليـــه كان مرتبطا به » •

ومثل له بقول امرى القيس أيضا :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل(٩٢)

والتصريع فى ديوان أبى ذؤيب كثير ففى العينية يقول:

أمن المنون وريبـــها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع(٩٣)

نلاحظ أن المصراع الأول يســـتقل بمعناه والذى أتى بعده جـــاء منفصلا عنه لفظا ومؤكدا له معنى • وهذا ما نلحظه فى أبيات كثـــيرة من العينية وقصيدة أخرى بدأها بهذا البيت وهو مصرع :

---

(٩١) السابق ١ : ١٦٦ •
(٩٢) المثل السائر ١ : ٣٣٨ •
(٩٣) شرح اشعار الهذليين ١ : ٤ •

هل الدهر الا ليلة ونهارها والا طلوع الشمس ثم غيارها(٩٤)

وقصيدة ثالثة بدأها بهذا المطلع المصرع :

صبا صبوة بل لج وهو لجوج وزالت له بالأنعمين حدوج(٩٥)

وقصيدة رابعة بدأها بقوله :

أساءلت رسم الدار أم لم تسائل عن السكن أو عن عهده بالأوائل(٩٦)

اذن التصريع ظاهرة بارزة فى شعره ، وهو أحيانا يصرع مطلع القصيدة ثم يأتى بأبيات غير مصرعة ثم يعود الى التصريع مرة أخرى فى القصيدة ذاتها .

وبودى أن أشير هنا الى أن التصريع أسلوب لا يقتدر عليه ألا الفحول كما ذكر قدامة بن جعفر فهر مركب صعب(٩٧) .

ومما يتعلق باسلوب الشاعر اتكاؤه على عبارات معينة يكررها فى شعره أكثر من مرة منها قوله :

فان تصرمى حبلى وان تتبدلى
فانى صبرت النفس بعد أن عنبس

كذلك النغمة التى رددها فى عينيته ثلاث مرات وهى :

والدهر لا يبقى على حدثانه

وهذه النغمة لا ينفرد بها أبو ذؤيب وحده بل شاركه عدد من شعراء هذيل(٩٨) .

---

(٩٤) السابق ١ : ٧٠ .
(٩٥) نفسه ١ : ١٢٨ .
(٩٦) نفسه ١ : ١٤٠ .
(٩٧) نقد الشعر ٥١ .
(٩٨) نورى القيسى ، وحدة الموضوع ١١٦ .

هذه العبارات وما شاكلها يعيدها أبو ذؤيب من آن لآخر سواء كان ذلك فى القصيدة الواحدة كما فى العبارة التى رددها فى العينية أو فى القصائد المختلفة كما فى العبارات الأخرى وهو لا يأتى الا بعد وصف طويل ، واعداد للمعنى الذى هو بصدده ، فمثلا هو يتحدث طويلا عن الخمرة والعسل ويقف على تفاصيل مزجهما والحصول عليهما ثم يأتى بفقرته التى رددها أكثر من مرة « بأطيب من فيها » •

والجمل الاعتراضية يستخدمها للتأكيد والتأثير ومن نماذجها هذه الأبيات التى احتوت على جمل اعتراضيه :

هنا لك لا اتلاف مالى ضرنى
ولا وارثى — ان ثمر المال — حامدى(٩٩)

فقال : أما خشيت — وللمنايا
مصارع — أن تخرفك السيوف(١٠٠)

لقد لاقى المطى بنجد عقر
حديث — ان عجبت له — عجيب(١٠١)

وكما رأينا فان الجملة الشرطية فى البيت الأول — ان ثمر المال — قد زادت المعنى قوة وتأكيدا فالمال لا ينفع الانسان بعد موته•

وفى البيت الثانى زادت جملة — وللمنايا مصارع — البيت قوة وتأثيرا فالمخاطب يحذر صاحبه من الذهاب الى ساحة القتال ويحذره من السيوف ولكن تذكيره له بالمنية التى تصرع — زاد المعنى قوة واقناعا •

---

(٩٩) شرح أشعار الهذليين ١ : ١٩٥ •
(١٠٠) السابق ١ : ١٨٨ •
(١٠١) نفسه ١ : ١٠٤ •

كذلك جملـــة ان عجبت له قوت معنى العجب فى الحـــديث والذى أراده الشاعر .

وهذه الجمل سواء أكانت اسمية أو فعلية زادت المعنى وضوحا كما جاءت عفوية لا تحس فيها تكلفا أو اطنابا .

ومن الملاحظـــات التى يمكن ادراجها فى اسلوبه تركيب العبـــارة ما يأتى :

١ ــ حذف بعض الألفاظ كما فى قوله :

عصانى اليها القلب انى لأمره سميع فما أدرى أرشد طلابها(١٠٢)

والتقدير فما أدرى أرشد الذى وقعت فيه أم غى فحذف (أم غى) وفى هذا الحذف بلاغة الايجاز لدلالة المذكور عليه .

٢ ــ اقحام حروف الجر لاقامة الوزن كما فى قوله :

وقد طفت من أحوالها وازدتها سنين فأخشى بعلها وأهابها(١٠٣)

اذ أقحم من وجمع حول على أحوال وهو جمع شاذ .

٣ ــ يفصل بين الفعل والفاعل ، أى يبدأ بالفعل ويتركـــه ويأتى بالفاعل بعد أن يفصل بينهما كما فى قوله :

يمانية أحيا لها مظ مأبد وآل فراس صواب أرمية كحل(١٠٤)

فالفعل أحيا والفاعل صوب وبينهما فاصل كما رأيناه ، كذلك فقد فصل بين اسم أصبح وخبرها بمعطوفات كما فى قوله :

أصـــبح من أم عمـــرو بطن مر

فأكتاف الرجيع فلو سدر فأصلاح

---

(١٠٢) نفسه ١: ٤٣ .

(١٠٣) نفسه ١ : ٤٢ .

(١٠٤) نفسه ١ : ٩٦ .

وحشا سوى أن فراد السباع بها
كأنها من تبغى الناس اطلاح(١٠٥)

فاسم أصبح هو بطن وخبرها وحشا .

مما تقدم نستنتج أن اسلوب أبى ذؤيب كان من الأساليب الصعبة التى تعمد الى التعقيد واستعمال الشاذ من المفردات وغير المألوف من العبارات .

كما نلاحظ أن الأثر الاسلامى يكاد يكون معدوما فيما وصل الينا من شعره على الرغم من أنه من الذين أدركوا الاسلام وكان من المتوقع أن نجد فى شعره اشارة الى الشعائر الدينية مثلا لكننا لم نظفر بشىء من ذلك .

وحتى عينيته التى قيلت بعد الاسلام لا نلمس فيها أثرا له . واذا كان قوله :

حتى كأنى للحوادث مروة بصفا المشوق كل يوم تقرع

فيه اشارة الى عادة الجاهلية اذ كان الجاهليون يطوفون بين الصفا والمروة ويقولون : « اليوم قرى عينا بقرع المروتينا »(١٠٦) فان القصيدة تكاد خالية من أى أثر اسلامى .

كذلك قصيدته التى قالها فى عبد الله بن الزبير لا تجد فيها تفصيلا عن الدين الجديد والغزو أو الحرب فى سبيل نشر راياته .

وربما ضاع من شعره ما برز فيه الدور الاسلامى ، ولا نستطيع أن ننفى ذلك أو نؤكده .

---

(١٠٥) نفسه ١ : ١٦٤ .
(١٠٦) الازرقى ، أخبار مكة ٢ : ٣ .

خيـاله الشـعرى

الخيال عنصر هام من عنـاصر الفن • والخيال يعنى الاختـراع والجمع بين عناصر لا رابطة بينهما عادة • والسمة الغالبة على الخيال عند أبى ذؤيب هى الجموح والاغـراب والربط بين الأمور والأشـياء التى تبدو متباعدة •

والخيال كما يرى بعض النقاد المحـدثين لا يقتصر على الوصف والتشبيهات فحسب « فالخيال ليس مقصورا على التشبيهات والشاعر الكبير ليس ذا التشبيهات الكثيرة ••• فان الخيال هو كل ما يتخيلـه الشاعر من وصف جوانب وشرح عواطف النفس وحالاتها »(١) •

والخيال الشعرى عنـد أبى ذؤيب يأتى أحيانا بما ينقـله لنا من تجارب عميقة بدقة تنقلنا الى الجو الذى أراده وللتدليل على ذلك أورد هذه الأبيات التى قالها فى رجل ذهب الى غزوة :

وأشعث بوشى شـغينا احاحـه
غـدا تئذ ذى جـردة متماحل
أهم بنيـة صـيفهم وشـتاؤهم
فقالـوا تعد واغز وسط الأرجـل
تأبط نعليـه وشـق فريـره
وقال أليس الناس دون حفـائل
دلفتُ لـه تحت الوغى بمرشـه
سحسحة تعلـو ظهور الأنامل (٢)

---

(١) محمد زغلول سلام ، النقد العربى الحديث ١٧٣ •
(٢) شرح أشعار الهذليين ١ : ١٦٠ ـ ١٦١ •

فالشاعر قد أعطانا لوحة دقيقة القسمات متكاملة الجوانب عن ذلك الرجل الذى ذهب للغزو ، والشاعر برسمه لتلك الصورة المتحركة .

تأبط نعليه ... ...

استطاع أن يسجل مهارته ودقته فى التصوير دون أن يعتمد على تشبيه أو استعارة والخيال عند ابى ذؤيب يعتمد أحيانا على تصور الحالات قبل وقوعها واظهار الجو النفسى المناسب لمثل تلك الحالات .

ولايضاح ذلك أورد هذه الأبيات لأبى ذؤيب والتى تخيل فيها نفسه وقد قربت ساعته ثم مات ودلى فى قبره .

أعاذل أبقى للملامة حظها
اذا راح عنى بالجلية عائدى
وقالوا تركناه تزلزل نفسه
وقد استدونى أو كذا غير سائد
وقام بناتى بالنعال حواسرا
فالصقن وقع السبت تحت القلائد
يودون أن يفدوننى بنفوسهم
ومثنى الأواقى والقيان النواهد
وقد أرسلوا فراطهم فتأثلوا
قليبا سفاها كالاماء القواعد
مطأطأة لم ينبطوها وانها
ليرضى بها فراطها أم واحد
قضوا ما قضوا من رمها ثم اقبلوا
الى بطاء المشى غير السواعد

يقولون لما جشت البئر أوردوا
فليس بها أدنى دفـاف لوارد
فكنت ذنوب البئر لمـا تبسلت
وسربلت أكفانى ووسدت ساعدى
هنالك لا اتلاف مـالى ضرنى
ولا وارثى ان ثمر المال حامدى(٣)

الشاعر تخيل معاناته فترجمهـا الى هذه الأبيات وأعطـانا هذه الصورة المحكمة الاخراج المكتملة الجزئيات فقد رسم لنا رعشة الموت وجلوسه بين أهله وهم يسندونه لضعفه وعدم مقدرته على الجلـوس ثم تردى حاله الى وضع جعـل بناته يضربن صدورهن بالنعال ويلطمن الخدود حزنا على فراقه وكن يتمنين لو أستطعن رد المنية وان يفدينه بالمال والقيان ولكن ذلك غير ممكن فاستسلم اهله وارسلوا من يحفـر له قبـرا .

ويصل شاعرنا الى قمة ابداعه ودقتـه واستيفائه جميع أجـزاء الصورة فى هذا البيت :

وقد أرسلوا فراطهم ... ... (البيت)

فالصورة عنده متأنية دقيقة غنية بالتفاصيل يوفى كل جزء فيهـا حقه ويقف عند كل زاوية وقوف المتأمل فحتى تراب القبر لم ينس أن يخترع له صفة والنادبات صورهن صورة دقيقة ونزوله القبر وتدلى اقدامه فيـه :

وصور الرحشة التى لاقته حين استقر فى القبر :

---

(٣) السابق ١ : ١٩٠ ـ ١٩٥ الجلية : البيان من الخبر ، حواسر : مكشفات الشعور والاذرع ، السبت : النعال ، مثنى : مرة بعـد مرة ، الفراط : المتقدمون ، تألوا : اتخذوا ، سفاها : ترابها ، مطأطأة : مسفلة لم ينبطوها : لم يستخرجوا ماءها ، رمها : احكامها واصلاحها .

فكنت كذنوب البئر ... ... (البيت)

ويختم الصورة بالاقرار بتلك الحقيقة التى تدل على نظرة الشاعر للموت ، وهى نظرة تتلخص فى أن الموت نهاية المطاف .

وخيال أبى ذؤيب الشعرى يبدو جليا فى تشبيهاته المنبثة فى ديوانه فهو لا يشبه أمورا مألوفة بأخرى مثلها ، انما يحاول أن يأتى بصور جديدة ويوجد علاقات بين أمور متباعدة بل انه يربط بين مشاعر نفسية وأمور حسية كربط بين قلع السن وفراق الحبيب بهذا التشبيه :

فراق كقيص السن ، فالصبر انه لكل اناس عثرة وجبور(٤)

فالشاعر هنا اعتمد على خياله ليرسم صورة حسية بينة للألم فى هذا التشبيه ، وليبرز المعاناة التى يعانيها المحب بغياب الحبيب،وربط بين عين المرأة الخائفة وعين الحبارى المترقبة لسطوة الصقر وهجومه بهذا التشبيه :

توقى بأطراف القران وطرفها كطرف الحبارى أخطأتها الأجادل(٥)

وشبه الأصوات المنبعثة من قسى النبل عند اطلاق السهام بأنين النسوة اذ قال :

كأن ارتجاز الجعثميات وسطهم نوائح يشفعن البكى بالأزامل(٦)

ويشبه البرق بمصباح اليهود ويبدو أنه كان يرى ذلك المصباح فى بيئته لأن ديار هذيل كانت قريبة من الطائف التى عاش فيها مجموعة من اليهود يقول :

---

(٤) السابق ١ : ٦٦ .

(٥) السابق ١ : ١٦٠ .

(٦) السابق ١ : ١٦٢ الجعثميات : بنو جعثمة من اليمن وأراد بالجعثميات القسى ، ارتجازها صوتها الازامل : الرنة والعويل .

يضيىء ســناه رائق متكشف أغر كمصباح اليهود دلوج(٧)

وتبدو عناية الشاعر ودقته وحرصــه على ابراز ما خفى من الصــفات فى روح لا تخلو من سخرية فى هذا التشبيه :

صخب الشوارب لا يزال كأنه عبد لآل أبى ربيعة مسبع(٨)

فحمار الوحش ذكره بأحد آل ربيعه ما الربط بين الأمرين ؟ ربما وجد فى شكل ذلك الحمار ما ذكره بالعبد وربما قرن قوته بقوة العبد وامتلاءه بامتلائه .

التشبيه غريب حقا ولكنها طريقة الشاعر فى اهدار الفروق وازالة الحواجز والتقريب بين المتباعدات .

والأثافى ورد ذكرها فى شعر أبى ذؤيب حين وقف على الديــار وتلك الأثافى ترتبط فى مخيلته بعدة صور ، فتــارة هى كالنوق الثــلاث اللاتى عطفن على وليد ، كل واحدة منهن تظنه ابنها فتحنو عليه .

كعوذ المغطف أخزى لها بمصدرة الماء رأم رذىء(٩)

وكالنوائح المتجمعات حول القبر تارة أخرى :

فهن عكوف كنوح الكــريم قد شفت أكبادهن الهوى(١٠)

والمرأة ترتبط بمخيلته بمجموعة من الصــور فهى تارة كالدرة فى تلألئها وبهائها .

---

(٧) السابق ١ : ١٢٩ الراتق : المنضم من السحاب ، متكشف : بتكشف بالبرق .

(٨) السابق : ١ : ١٢ مسبع : مهمل الشوارب : مجارى الماء فى الحلق آل ربيعة ، آل ابى ربيعة بن عبد الله بن عمر بن مخــزوم وهم كثيرو الاموال والعبيد .

(٩) السابق ١ : ١٠١ الرأم : البو ، الرذى : الضعيف .

(١٠) السابق ١ : ١٠١ .

كأن ابنة السهمى درة قامس لها بعد تقطيع النبوح وهيج(١١)

والتشبيه بالدرة فى البياض والرقة والنعومة تشبيه محبوب عند العرب وقد ورد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى (وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون)(١٢) وشبه الشعراء محبوباتهم بالدرة المكنونة والجوهرة المصونة .

والرائحة الطيبة صفة أحبها العربى فى المرأة فوصفها دائما متطيبة يتضوع منها المسك . وأبو ذؤيب لا يشذ عن غيره فى غرامه بالمرأة المتطيبة وقد سجل ذلك الغرام بقوله :

كأن عليها بالة لطمية لها من خلال الدأيتين أريج(١٣)

وتارة يتخيل أبو ذؤيب المرأة كالأسيرة التى أخذت عنوة وعرضت على رئيس القوم ليصطفيها لنفسه .

عشية قامت بالفناء كأنها عقيلة نهب تصطفى وتفوح(١٤)

فهى ضعيفة مغلوبة على أمرها ويبرز هذه الصفة بصورة أخرى حين يشبهها بالظبية الضعيفة اذ يقول :

كأن ابنة السهمى يوم لقيتها
موشحة بالطرتين هميج

---

(١١) نفسه ١ : ١٣٣ القامس : الغائص النبوح : أصوات الناس وضجتهم ، وهيج : توقد .

(١٢) الواقعة : الآيتان رقم ٢٢ ، ٢٣ .

(١٣) شرح اشعار الهذليين ١ : ١٣٥ الدأيتان : موصلا الجنب من الصدر ، أريج : توهج .

(١٤) السابق ١ : ١٣٥ العقيلة : الكريمة ، تفوح تثنى .

بأسفل ذات الدبر أفرد خشفها

فقد ولهت يومين فهى خلوج(١٥)

وهذه السمة من سمات الانوثة التى تجذب الرجل الى المرأة أعنى الضعف كالخشف أو الظبية الرقيقة قد وردت كثيرا فى شعر العرب على مدى العصور منذ الجاهلية •

وحديثها عنده كالعسل المخلـوط باللبن ، ولكن ليس أى لبن انما لبن الأبكار من الابل لأن لبنها أطيب من لبن غيرها •

وان حـــديثا منك لو تبذلتيـه

جنى النحل فى ألبان عوذ مطافل

مطافيل أبكار حـديث نتاجهـا

تشلب بماء مثل ماء المخاصـل(١٦)

ومن التشبيهات الغريبة حقا فى شعره تشبيه صوت القدور المملوءة باللحم بصوت الضرائر اللاتى يغار بعضهن من بعض ويخرجن أصواتا تدل على غيرتهن الشديدة •

لهن نشيج بالنشـيل كأنها ضرائر حرمى تفاحش غارها(١٧)

وتارة يشبه تلك الأصـوات المنبعثة من القيـدور بحنين النـاقة وندائها لوليدها :

اذا استعجلت بعد الخبو ترازمت كهرم الظؤار جر عنها حوارها(١٨)

---

(١٥) السابق ١ : ١٣٦ خشفها : ولدها ، الخلوج : التى نزع عنها ولدها أما بذبح أو فصال •

(١٦) السابق ١ : ١٤١ •

(١٧) ، (١٨) السابق ١ : ٧٩ •

وفى معرضه بالحديث عن المشتار وما يلاقيه من مشقة وخوف حين يقتحم خلايا النحل شبه ارتجافه وارتطام بعض ضلوعه ببعضها الآخر من الخوف بالسهام التى فصل فصارت مضطربة فشبه اضطراب ضلوع المشتار باضطرابها •

فحط عليها والضلوع كأنها من الخوف أمثال السهام النواصل(١٩)

والممدوح عنده كسيد الضراء حينا وكسيف المرادى حينا آخر وسيد الضراء هو الذئب الخبيث أما سيف المرادى فهو السيف المنسوب الى قبيلة مراد من اليمن • قال :

فصاحب صدق كسيد الضرا
ينهض فى الغزو نهضا نجيحا
كسيف المرادى لا ناكلا
جبانا ولا حيدريا قبيحا (٢٠)

والقرية المغنية التى تأتيها الخيرات من كل مكان شبه تلك الخيرات بالتراب اذ قال :

أتى قرية كانت كثيرا طعامها كرفغ التراب كل شىء يعيرها(٢١)

والسحاب غالبا ما يرتبط فى خيال الشاعر بالابل لونا وضخامة تارة كما فى قوله :

---

(١٩) السابق ١ : ١٤٤ •
(٢٠) السابق ١ : ٢٠٢ الناكل : الجبان ، الجيدرى : القصير •
(٢١) نفسه ١ : ٢٠٨ يعيرها : يأتيها •

يضيء ربابا كـدهم المخـا ض جللن فوق الولايا الوليحا(٢٢)

وتارة ترتبط عنده بالابل فى ارتطامها بالأرض عند سقوطها فكما أن الابل تحدث صـوتا من جراء سقوطها على الأرض فتلك السحب تحدث صوتا بارتطامها بعضها ببض :

كأن ثقال المزن بين تضـارع وشابه برك من جذام لبيج(٢٣)

وتبدو المبالغة أو يبدو اغراب الخيال فى عقده تشبيهها بين ذبـح النوق العتاق وتذرية الريح للنبت اليابس .

ومفرهـة عنس قذرت لرجلها
فخرت كما تتابع الريح بالقفل
لحى جياع أو لضيف محـول
أبادر حمدا ان يلج به قبلى(٢٤)

وقريب من هذا التشبيه الناقة القوية النشيطة التى تحمل الخمرة من أذرعات الى الحجاز بالصخرة فى الماء الضحل .

فما ضله من أذرعات هوت بها مذكرة عنس كهادية الضحل(٢٥)

ويشبه غواص الدر بالسهم السـاقط على الأرض ملصق الرأس وقد جرد من قشرته .

---

(٢٢) نفسه ١ : ١٩٧ المخاض : الحـوامل من الابل ، الـرباب : السحاب هم : سود الولايا : الاكسية ، الولائح : الجلائل .

(٢٣) نفسه ١ : ١٣٣ شابة : موضع ، تضارع : جبل ، البـرك : أبل الحى كلهم اللبيج : المضروب بالارض .

(٢٤) نفسه ١ : ٩٢ ، ٩٣ .

(٢٥) نفسه ١ : ٩٣ .

فجاء بها بعد الكلال كأنه من الاين محراس أقد سحيج(٢٦)

وأحيانا يبدو الغواص أمامه كالغرنيق :

أجاز اليها لجة بعد لجة ازل كغرنيق الضحول عموج(٢٧)

ويبدو أن التحول وخفة الحركة هى الصفة الجامعة بين الصورتين •

وفى ديوان أبى ذؤيب تصادفنا تشبيهات بدوية بل شديدة البداوة ويبدو لى أن الذوق الحضرى حتى فى عصر الشاعر لا يستسيغها من ذلك قوله :

وصب عليها الطيب حتى كأنها أسى على أم الدماغ حجيج(٢٨)

فالشاعر يصف محبوبته ويشبه ما علاها من الطيب وكأنه لم يشبه ذلك الا بالجرح النازف من ألم الدماغ وهى لجليد الرقيقة التى تجمع الدماغ •

يبدو لى أن الصورة منفرة وهى لا تتفق مع الجو النفسى الذى يعيشه الشاعر فالذى يصف محبوبته لا يتذكر الا الدواحى المشرقة الجملية •• الدرة ، الطيب •• الخمرة •• العسل •• اللبن •• اللؤلؤة ••• الخ •

أما أن يتذكرها بالجراح والدماء والدواء فأعتقد أن ذلك يبدو أمرا غريبا حقا • وقريبا من هذه الصورة ذلك التشبيه :

وسرب تطلى بالعبير كأنه دماء ظباء بالنحور ذبيح(٢٩)

---

(٢٦) ، (٢٧) نفسه ١ : ١٣٤ •

(٢٨) نفسه ١ : ١٣٥ •

(٢٩) نفسه ١ : ١٥١ •

فقد شبه مجموعة من الحسان تضمخن بالمسك والزعفران بالظباء المذبوحة التى سالت دماؤها على نحورها .

من ذلك يتبين أن العلاقة التى علقها كانت ظاهرة فى اللون ولم تتعد الى ما وراءه فهى حسية بعيدة عن التأمل ، ومما يؤكد شغف أبى ذؤيب بذكر الألوان تلوينه لكل ما يصف فالعسل أبيض بل شديد البياض اذ يقول :

وما ضرب بيضاء يأوى مليكها الى ظنف أعيا براق ونازل(٣٠)

والحسناء فى وشاحها كالظبية ذات اللونين :

كأن ابنة السهمى يوم لقيتها موشحة بالطرتين هميج(٣١)

وعيون السكارى تبدو حمراء كالجروح النازفة :

ترى شربها حمر الخداق كأنهم أساوى اذا ما مار فيهم سوارها(٣٢)

ويجمع بين اللون والطعم فى هذا التشبيه :

عقار كماء النيء ليست بمخمطة ولا خلة يكوى الشروب شهابها(٣٣)

وظهر العقاب أبيض كالحليب :

موقفة القوادم والذنابى كأن سراتها اللبن الحليب(٣٤)

---

(٣٠) نفسه ١ : ١٤٢ ملكيها : يعسوبها ، الظنف : حيدر من الجبل يندر .

(٣١) نفسه ١ : ١٣٦ .

(٣٢) نفسه ١ : ٧٥ .

(٣٣) نفسه ١ : ٤٥

(٣٤) نفسه ١ : ١٠٨ موقفه : مخططة .

والظبية التى تتناول ثمر الاراك تاون بلون الثمر فى حين أن سائر جسمها كان أبيض :

وسود ماء المـرد فاها فلونه كلون النؤور فهى أدماء سارها(٣٥)

وشاعرنا يسجل فى شعره الحركـات فالصورة ليست جـامدة بل متحركة ومن نماذج ذلك قوله :

فألقى غمده وهـوى اليهم كما تنقض خائنة طلوب(٣٦)

فانقضاض الفارس ووثبته ذكره بحركة العقاب حين تنقض عـلى الفريسة فشبه حركة هذا بحركة تلك ويشـبه سرعة القوم فى مشيهم نحو الغارة بالخيل المسرعة .

اذا ما سراع القوم كانوا كأنهم قوافل خيل جريها واقوارها(٣٧)

ومن عناصر الخيال عند أبى ذؤيب ما اخترته من عادات القـوم وعقائدهم وتقاليدهم وما تحمل تلك العادات والعقائد من رموز ومعان يفيد منها الشاعر حين يستدعيها خيـاله فتؤدى دورها التعبـيرى فى معانيه ومن نماذج ذلك ذكره للصدى وهو باعتقاد العرب القدماء طائر يصيح فوق قبر الميت حتى يؤخذ بثأره قال :

فان تمس فى رمس برهوة ثاويا أنيسك اصداء القبور تصيح(٣٨)

فشاعرنا حين أراد أن يعبر عن الوحشة المحيطة بالميت وهو فى قبره والتى لا يؤنسها أو يقطع سكونها الا صوت موحش برز صوت الصـدى أمامه فأتى بهذه الصورة وذكر زجر الطير فقال :

---

(٣٥) نفسه ١ : ٧٣ .
(٣٦) نفسه ١ : ١٠٨ .
(٣٧) نفسه ١ : ٨٦ .
(٣٨) نفسه ١ : ١٥٠ .

زجرت لها طير الشمال فان تكن هواك الذى يصبك اجتنابها(٣٩)

وطير الشمال هو طير الشؤم عند هذيل :

وكذلك فقد ذكر التمائم وهى العــوذ التى يعلقونها على صــدور الأطفال لتمنع الحسد .

تنفض مهده وتذود عنه وما تغنى التمائم والعكوف (٤٠)

وقال أيضــا :

واذا المنية انشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع(٤١)

وفى البيت استعارة استوقفت النقاد واعجبوا بها ، فقــد استعار الأظفار للمنية وليست لها أظفار ، كذلك تلعب الأساطير دورها فى تكوين خيال أبى ذؤيب فهو يذكر القارظين فى شعره اذ يقول :

فتلك التى لا يرح القلب حبهــا
ولا ذكرهــا ما أرزمت أم حائل
وحتى يؤوب القارظان كلاهمــا
وينشر فى القتلى كليب لوائل(٤٢)

فأحد القارظين قد خرج ينبغى قرظا فنهشته حية فمات ، والثانى من عنزة وكان قد خرج مع ابن عمه لانه كان يريد ابنته فمنعه منها(٤٣) .

---

(٣٩) نفسه ١ : ٤٢ .

(٤٠) نفسه ١ : ١٨٤ .

(٤١) نفسه ١ : ٨ .

(٤٢) نفسه ١ : ١٤٧ ارزمت : حنت وموتت ، الحائل : يقال اول الناقة أول ما تضعه ان كان انثى حائل ، وان كان ذكرا سقب .

(٤٣) الكامل فى اللغة ١ : ١٤٥ .

من ذلك يتبين لنا أن الخيال عند أبى ذؤيب يتميز بالآتى :

١ ــ أنه خيال بدوى مستمد من واقع حياة البادية بطبيعتها ومثلها وتقاليدها ومعارفها ولا تجد ما يخرج على ذلك الا القليل كذكر البحار والغواص ولعله تأثر بغيره من شعراء عصره الذين اكثروا من ذكر البحر خاصة فى معرض المديح • فشعره اذن يدين للصحراء بكل ما فيها من تشبيهات وخيال وصور •

٢ ــ انه يرتبط بالمظاهر المادية التى يقع عليها بصره وفى نماذج شعره أوردناها وافرة على ذلك •

٣ ــ أنه يبرز الحركة واللون فالشاعر لا يدع الصورة دون أن يلونها باللون المناسب كما أن صورته ليست جامدة وانما هى متحركة وقد أوردنا نماذج تبين ذلك •

٤ ــ أنه يبرز جميع جوانب صورته فالشاعر يلح عليها لحاحا شديدا ولا يدعها الا بعد استكمال جميع جوانبها بل انه يبرز أدق صفاتها وتفاصيلها •

٥ ــ ان الغرابة تعد سمة عامة فى خيال أبى ذؤيب ، فصوره وان كانت كلها مستمدة من واقع البيئة الا انها متباعدة فهو يجمع بين أمور تبدو نائية عن بعضها وله مقدرة فائقة على اهدار الفوارق وازالة الحواجز كما لاحظنا فيما أوردنا له من نماذج •

٦ ــ أن الخيال مناط الشاعر يعتمد كثيرا على التشبيه فى صوره وفى ترجمة خياله لكن شعره لا يخلو من الاستعارة الجيدة وقد مر بنا أن قوله :

واذا المنية ••• ••• ••• •• (البيت)

قد عد من الاستعارة الجيدة ••

ومن استعاراته الجيدة قوله :

لا تأمنن زباليا بذمتـــه اذ تقنع ثوب الغدر وانزرا(٤٤)

فقد جعل للغدر ثوبا يلبس وجعل هذا الزبالى يرتديه متى شاء فهو لا يؤمن على شيء لأن الغدر من طبيعته وهو مستعد له دوما .

ومن كناياته تعبيره عن تفرق الأحباب بهذه الكناية :

دعاه صاحباه حين شالت نعامتهم وقد حفز القلوب(٤٥)

وعبر عن الكرم بهذه الصورة :

المانح الادم كالمرو الصلاب اذا ما حارد الخور واحتث المجاليح(٤٦)

وعبر عن الهجران بانقطاع الحبل ، اذ قال :

فان تصرمى حبلى وان تتبدلى
خليلا واحدا كن سوء قصارها
فانى اذا ما خـــلة رث وصـــلها
وجدت بصرم واستمر عذارها(٤٧)

فقد عبر عن فتور العلاقة بين المحبين بالثوب الذى صـــار قديما وباستمرار عـــذارها أى أعراضها عن طريق الكناية كمـــا أن فى هذا البيت استعارة فى الفعل رث .

تلك هى أهم المظاهر العامة لخيال أبى ذؤيب كما ينعكسه شعره .

---

(٤٤) شرح أشعار الهذليين ١ : ١٧٠ .

(٤٥) السابق ١ : ١٠٧ .

(٤٦) نفسه ١ : ١٢١ المرو : حجر ابيض رقيق براق .

(٤٧) نفسه ١ : ٨٠ ـ ٨١ .